المصري بالتعصب الديني على الخصوص مع انه ابعد امم المشرق قاطبة عن التعصب وهم لا يفرقون بين الكره الديني وبين الكره الجنسي او كره الضعيف للقوي ولهذا قلما وجدنا لهم في المصريين حكماً صادقاً عادلا . وانه اذا كان هذا شأنهم في مصر وهم قد كادوا يأكلونها فهماً ويشربونها اختباراً فكم يكون شأنهم في مراكش حيث يذهب الواحد منهم اليها فيظن ان جزءاً من الف مما رآه هو الالف وزيادة

الا ان القول عن مراكش بانها منحطة وان بعض شريعة العين بالعين ماشية فيها مما يعد صحيحاً وهي تجري هناك كما قلنا عن محاكمة وانتقام وربما تحول الدية دون انفاذها احياناً

﴿ الجو والعقل ﴾

لم يبق للان شك في ان للاحوال الجوية تأثيراً مهماً على الانسان فهي تبدل حالاته على حكم ما يتبدل وكما ان البرد قد بيض اهالي اوروبا ووسع مداركهم ولطف من اخلاقهم كذلك الحر قد سود اهالي افريقيا وضيق من اخلاقهم وخشن من طباعهم وكما ان الحر اذا زاد في اوروبا أثر في اخلاق اهلها وزاد في خشونتهم كذلك البرد حين يكون في افريقيا يكون ملطفاً شيئاً من اخلاق اهلها

ولقد ظهر ان اشتداد الحر بين البيض بالخصوص يكون عاملا مهماً

في تغيير اخلاقهم كما اشرنا الى ذلك غير مرة ولكنه قد ظهر ان نيويورك تكون اكثر وضوحاً من سواها في هذا الشأن ولعل ذلك، لان الحر يشتد فيها اكثر من سواها او لانه يتفق فيها بسبب اخلاط اهلها وكثرتهم من يكون اقل حر مؤثراً فيه على خلاف باريز ولندن وسائر مدن الشمال حيث يكون اكثر اهلها منها نفسها وقد اعتادوا حرها وبردها حتى قل فيهم تأثير الحالتين

اما نيويورك فما حدثوه عنها ان ٢٨ بالمئة من كل جناياتها يحدث في شهر لوليو وحده لانه الشهر الممتاز بالحر هناك ولا يحدث في سائر شهور السنة الا ٥ او ٦ بالمئة من مجموع الجنايات ويراد بها هنا جنايات القتل والضرب الصادرة عن جنون موقت

ومما ظهر ايضاً ان هذا الشأن يوشك ان يكون مطرداً ولا عبرة ببعض الامتياز فانه حين تكون السنة كلها سنة برد واعتدال في انكلترا تكون جرائم القتل اقل كما حدث في سنة ١٨٧٩ فانها كانت مشهورة ببردها شتاء واعتدالها صيفاً فلم يحدث بها من الجرائم الا ١٥٣ جريمة في حين كانت ١٩٩ في سنة ١٨٧٧ لانها كانت مشهورة بشدة حرها وعلى هاتين السنتين تقاس كل سنة حر وبرد قياساً لا يدع مجالا للشك

الا ان الحرارة وحدها لا تكون العامل الاكبر على ارتكاب الجرائم بل الحرارة والرطوبة حين يجتمعان فانهما يكونان من اشد عوامل الاذى للغير والانتحار للنفس وعلى اقل من ذلك تكون الحال حين يكون حر وجفاف . ولعل محافظة الاسكندرية بل حكومة القطر كله لو دققت

البحث لبدا لها شيء يذكر من صحة هذا الكلام من حيث الفرق بين الجرائم بفرق الرطوبة والجفاف

الا انه مما لا مشاحة فيه ان الحر بجملة حالاته مما يصيب العقل بالضعف كما يصيب الجسم بالاسترخاء ولذلك لا يحتمل ان يكون شعب نشيط راق حيث تكون حرارة شديدة بدليل ما يوجد من الفرق العظيم بين اميركا الشمالية والجنوبية او بين مواضع الحر فيها والبرد . ولقد توصل قوم بهذه الاحوال الى القول بانه كان من الخطاء في الرأي ان تكون القاهره عاصمة الديار المصرية ومصدر حكمها وتدبيرها وذلك لان الحر في صيفها خصوصاً مما يضيق اخلاق حكامها ويجعل اكثر ما يصدرونه عن غير تميز تام وتعقل صادق . ويقولون انه لو كانت دور الحكومة في الاسكندرية مثلا او احدى الثغور الباردة لكانت اعمال الحكومة اتم سداداً . ولعل هذا القول لا يخلو من صواب بدليل ما نشاهده من انتقال الحكومة صيفاً الى الاسكندرية فان رجالها لا يأتون قصد التفكه بمحاسن البحر او التفرج بالانتقال من مكان الى مكان بل هم يأتون اليها لتكون افكارهم اكثر استقراراً وسداداً مما لو كانت في القاهرة صيفاً بل ان الجو المصري بجملته مما يقولون انه لا ينطبق على حالة رشد صحيح وتميز اكيد وان اعمال مصر العظمى في الازمان الغابرة كتشييد الاهرام والتحنيط وما كان ثم من علوم وفنون انما كان كله من اجانب استخدمهم الفراعنة كما تستخدم حكومتنا الان الاجانب وهذا القول ايضاً مما لا يخلو من سداد لانه كما ان الجو يؤثر في النبات احياناً اكثر من تأثير التربة كذلك هو يؤثر في العقول اكثر من تأثير التربية وتقويم الاخلاق . وهم يريدون من كل هذا انه لا يمكن شعباً يقطن بلاداً

حارة ان يكون مستقلا بنفسه مستغنياً عن سواه ولذلك قيل ان الحكومة المصرية كانت تستعين بالاتراك باعتبار انهم اسد نظراً واصدق حكماً لانهم من بلاد باردة . ولكن لعل امتزاج بين المصر بالاتراك من جهة الزواج مما يجعل الصلاح اوفر كما هي الحال الان اذ كثر امتزاج الامتين بالزواج . الا ان اطلاق القول بان الحر والتعقل التام لا يجتمعان مما لم يقم عليه دليل من جهة شعب بجملته وان قام عليه ادلة كثيرة من جهة افراد كثيرين

﴿ شباب الاصقاع وهرمها ﴾
﴿ او مستقبل افريقيا ﴾

فيما بين اصقاع الارض من الاختلاف ما يصح ان يكون شبيهاً بما بين افراد الناس فكما انك ترى هذا لا يزال في مهده ترى ذاك في شبابه والاخر في هرمه والاخر قد جاز حد الهرم كذلك ترى الارض منها ما استعمره الانسان من عهد عهيد حتى لم يعد كماله يطلب المزيد ومنها ما هو حديث العهد بالاستعمار ومنها ما لا يزال في مهد الاستعمار لا يدرى منه شيئاً يذكر ومنها ما يعتبر في حد الجنين لم يظهر لعين ولم يمسسه بشر

اما وصف هذه الاصقاع المختلفة كلها فلا سبيل اليه الان ولكن الصقع الاخر الافريقي جدير منها بالذكر لانه قد اخذ ان يكون شغل العالم الشاغل فهو كانه صبي تعتني امه الدنيا بتثقيفه وتربيته ولكن على احدث طرز ومن بعد كل تجربة وبهذا يؤمل ان يكون عهد شبابه من انضر العهود وقسمته من التقدم احسن القسم